وظهر السلطان محمد الثانى فى أراضى الأغريق كالحكم القوى العادل الذى يقبله الجميع ، ويخضع له الجميع راضين . لقد وصل إلى بلاد الموره فى سنة ١٤٥٨ لكى يعطى الطغاة والمستبدين الأغريق واللاتين درسا قاسيا فى فن السياسة والحكم ، فاستولى على حصونهم ، وقضى على محبى الفوضى قضاء عزيز مقتدر ، وفتحت القساوسة أبواب مدنهم له ، وتلقوه بالترحاب حتى يحظوا بحمايته ، ويطمئنو إلى رعايته . ثم زار مدينة أثينا وها له جمال آثارها القديمة ، فمكث فيها مليا . وفى السنتين اللتين تلتا سنة ١٤٥٨ تمكن من إخضاع شبه جزيرة الأغريق إخضاعا تاما فأصبحت جزءا من الامبراطورية العثمانية إلى الربع الأول من القرن التاسع عشر

* * *

إخضاع الصرب :

أما مع أمراء البلقان وخاصة الصرب ، فكانت سياسة السلطان محمد الثانى قبل فتح القسطنطينية هى توثيق علاقات الود والصداقة بهم والعمل على كسب رضاهم حتى ينتهى من مهمته العظيمة ، وحينئذ يستطيع إخضاعهم الواحد تلو الآخر . كان يعرف أن الصرب الشمالية

بصفة خاصة الضرب التى يحكمها برانكوفتش مذبذبة بين الأتراك والمجريين تحالف هذا الفريق حينا ، وتدفع عنها بالمال حيناً خطر الفريق الآخر .

ولذا نجد السلطان محمدا يعترف بالمعاهدة التى عقدها السلطان مراد الثانى مع إمارة الصرب الشمالية ، هذه المعاهدة التى لا تفرض على هذه البلاد الأجزية السنوية تدفعها للدولة وتمتع فى نظيرها بالاستقلال التام فى أمورها الداخلية ، كما أرسل إحدى زوجات أبيه السلطانات وهى صربية ، إلى بلادها محاطة بكل مظاهر الحفاوة والاكرام ، وأجرى عليها النفقات الكثيرة .

وكان هدف السلطان من وراء ذلك منع برانكوفتش الأمير الصربى من الاتفاق مع المجريين على نقض الهدنة التى عقدها السلطان معهم أثناء حصار القسطنطينية ، وفعلا تم له ما أراد .

فوفى برانكوفتش بما عاهد عليه السلطان ، كما لم يقم بأى مساعدة للقسطنطينية وقت محنتها ، هذه المدنية التى اشترك بنفسه فى تجديد أسوارها وتحصيناتها . بل وأرسل رسله للسلطان يهنئونه بهذا الفتح العظيم ويقدمون له الجزية . ولكن السلطان كان قد قرر إخضاع هذه البلاد نهائياً للحكم العثمانى . فالصرب بلاد زراعية ، غنية بالمعادن

وخاصة الفضة و بمراعيها الجيدة ومدنها المزدهرة ، ثم بعد ذلك أصبح يرى أن ضم الصرب أمر لا محيص منه لمهاجمة الأفلاق والمجر .

ولذا قام السلطان محمد الثانى الفاتح بقوة كبيرة إلى بلغراد للقضاء نهائياً على الصرب ، ولتهديد المجر فى وقت واحد . ولكن إذا كان السلطان لم يفلح فى الإستيلاء على مدينة بلغراد إلا أن خصمه العنيد هونيادى مات بعد وقت قصير ، وقُور مصير برانكو فتش والصرب نهائياً . فلقد أسر ذلك الأمير وسجن ، وترك الامارة لزوجته إيرين وابنه فقام النزاع بينهما إلى درجة أن الإبن رفض أن يفتدى أباه من الأسر ، ثم ماتت إيرين ، ودفع ابن برانكوفتش الجزية ، ولكنه لم يكن مخلصاً لا لرعاياه ولا للسلطان ! ثم فارق الحياة ، فقام نزاع شديد على تولى الإمارة ، وقرر السلطان وضع حد لهذه الفوضى فضم الصرب إلى الدولة نهائيا فى سنة ١٤٥٩ ، فأصبحت مجرد بشاليق ، تركى ، وانتهى بذلك تاريخ آخر إمارة صربية فى العصور الوسطى ، وظلت الصرب هكذا جزءاً لا ينقسم من الدولة العثمانية إلى أوائل القرن التاسع عشر حتى أيقظتها الثورة الفرنسية وحروب نابليون إلى طلب الحكم الذاتى والاستقلال .

العلاقات العثمانية المجرية فى عهد محمد الفاتح :

كانت المجر مجاورة للدولة العثمانية من الجهة الشمالية الغربية وكانت أقوى دولة مسيحية فى وسط أوربا من الناحية الحربية فالشعب المجرى ظل محتفظاً كالأتراك بحيويته ونشاطه وقوته وكان ملوكه يعتبرون أنفسهم زعماء المسيحية ، وأصبحت المسيحيه تعتمد على المجر إلى حد كبير فى وقف تقدم الاتراك إلى وسط أوربا .

ولكن هذه الدولة القوية لم تكن متفرغة تماما لهذه المهمة الخطيرة، فلقد كانت دائما مهتمة بمد نفوذها على ساحل البحر الادرياتى مما دعا إلى اصطدامها بجمهورية البندقية ، ثم من ناحية ثانية كانت حكومة المجر قد وجهت عنايتها إلى القضاء على المنقسمين على الكنيسة الكاثوليكية فكانت تعمل جادة على فرض نفوذها على الصربيين المجاورين لها حتى تستطيع أن تدخلهم فى حظيرة الكثلكة وتخرجهم من الأرثوذكسية ، وكرس الأمبراطور لوى حياته لخدمة ذلك الغرض ولم يقم بمساعدة الأمبراطور البيزنطى باليولوجوس نظراً للاختلاف المذهبى، فأعطى العثمانيين فرصة لوضع أقدامهم فى أوربا .

ثم انشغلت المجر بمنازعاتها مع بولونيا ونضالها ضد التتار ، ولقد حاول ملوك أنجو الذى حكموا المجر على عهد العثمانيين الاوائل إدخال

العادات الغربية فخبرت هذه البلاد فوق دسائسها الخارجية نضالا داخلياً بين النظم المجرية الاصلية والنظم الغربية كما شغلت بمسائل النزاع على العرش ، وأخيراً اختار الديت المجرى الامبرسجسمند ، ولكن عهده لم يكن عهد استقرار أو اطمئنان ، فقامت الثورات فى أوائل عهده وأخذ الترك يغيرون على حدود بلاده وخاصة بعد أن سقطت الصرب . كان على المجر أن تتخذ فى أول الامر ضد الاتراك خطة الدفاع ولكنها عادت فرأت أن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم ، ولكن قوتها الحربية لم تكن تستطيع وحدها الوقوف أمام قوة الاتراك ، ولذا طلبت النجدة من ألمانيا وفرنسا ، ووجدت هاتان الدولتان تعززهما البابويه ضرورة تعضيد هذه الدولة التى يقع عليها عبء المحافظة على أبواب أوربا الوسطى ، وكانت نتيجة هذا الاتفاق موقعة نيكوبوليس فى سنة ١٣٩٦ فى هذه الموقعة قضى الاتراك على زهرة فرسان المانيا وفرنسا والمجر ، وأصبح الترك سادة الدانوب الأدنى ، وهرب سجسمند ولولا مساعدة البندقية له على الهرب لوقع فى يد الأتراك وهلك .

كان سجسمند من غلاظ القلوب عاش حزينا محتاجا مضطهدا ، ولم يكن محبوباً من شعبه فقامت ضده المؤامرات والثورات وقبض عليه وسجن ثم أطلق سراحه فعاد إلى العرش ، ولسوء حظ المجر انتخب

ذلك الملك البائس فى سنة ١٤١١ امبراطوراً لألمانيا ، فلم يعد المجر كيان مستقل كامل وأصبحت مصالحها جزءاً من مصالح العالم الألمانى وزادت مشاكلها وثارت المنازعات من جديد بين المجر وجارتها البندقية خسرت فيها المجر دلماشيا .

ثم تعقدت المهزلة فاختير سجسمند ملكا لبوهيميا فتجمعت ثلاثة تيجان على رأس شخص يتوء تحت عبء تاج واحد ولا يحسن التصرف فى أمور مملكة واحدة .

وزادت مشاغل سجسمند وكثر اضطراب الامور عليه حين حاول القضاء على أتباع مذهب حنا هوس ، وكانوا كثيرين فى المجر لانهم نادوا بالمساواة بين الناس و بأن الملكيه يجب أن تكون عامة .

و بالرغم من كل هذه المشاغل والمشاكل كانت المجر دولة قوية أولا لأن سجسمند اهتم بتحصين الحدود الجنوبية الملاصقة للاتراك وجعل مدينة بلغراد عند ملتقى الدانوب بالسافا حصنا منيعا من الطراز الأول . ثانيا عملت النظم المجرية على وجود جيش دائم قوى يجتمع وقت الحاجة ، ثالثا اهتمت الحكومة بأنشاء أساطيل نهرية قوية فى نهر الدانوب لحماية الحدود الجنوبية . رابعاً تجمع النبلاء حول هونيادى

وقبلوا زعامته مخلصين له الطاعة وأخيراً هاجر عدد كبير من الصربين الأشداء إلى بلاد المجر وخدموا فى الجيش المجرى .

ومن أجل ذلك كانت المجر قادرة على الوقوف أمام العثمانيين مدة طويلة فى الوقت الذى لم يستطع فيه الأغريق والصرب والبلغار تحمل ضربات الاتراك القوية ، ولكنها بصفة عامة لم تستطع بنجاح اتخاذ خطة الهجوم ضد الاتراك وتحملت الفشل المرير ، حتى فى أوج عظمة زعيمها القدير جانوس هونيادى الذى سجله التاريخ كأكبر عدو للأتراك وأعظم وأقدر خصم قابلهم وجها لوجه فى ميدان القتال .

تحت زعامة جانوس هونيادى ارتفعت المجر إلى مركز المدافع عن المسيحية أمام قوة الاتراك الجارفة ، لقد كان هونيادى من الشبان الافلاقيين البارزين الارستقراطين الذين دخلوا فى خدمة سجسمند فأعجب بمقدرته أيما إعجاب ، ورقاه فى بلاطه وافترض الاموال منه ومنحه إقطاعات على الحدود المجرية العثمانية الامر الذى جعل لذلك الرجل مصلحة دائمة فى مناضلة الدولة العثمانية ودفعها عن الاراضى المجرية والواقع أن الحرب التى كانت سجالا بين المجر والاتراك قامت على أكتاف ذلك البطل .

لقد كان هو نيادى رمز الفروسية المسيحية فى ذلك الوقت و بطلا من أعظم أبطال المجر وزعيما كبيرا من زعماء المسيحية عرف كيف ينظم الجيوش وعظم اهتمامه بفن الحرب مواقعها وأماكنها وحركاتها أكثر مما اعتمد على الشجاعة وحدها أو الحماس الحربى ، وهو رجل تحت المتوسط فى الطول ابيض الشعر له ضفائر طويلة فضية ووجه ممتلىء بالدم والحيوية وعيون سوداء قوية مبتسمه ، لقد كان فارس الافلاق الابيض — كما كان يطلق عليه — حضم الاتراك العنيد فى ميدان الحرب وميدان السياسة .

لقد استطاع هذا الزعيم المجرى فى موقعة سمندريا أن يخلص الصرب من الحكم العثمانى وهزم العثمانيين مرار الى درجة أن اضطر السلطان مراد الثانى والد الفاتح وكان كبير الميل إلى السلم — اضطر أن يطلب عقد صلح معه لمدة عشر سنوات لمصلحة المسيحيين دون ريب .

وكانت زعامة هونيادى فى المجر تامة حين ورث العرش بعد سجسمند طفل لازال فى المهد صبيا ، ولكن سلطته عادت فضعفت حين اختير فلاديسلاف ملكا للمجر ، فلم يستمع الملك الجديد لنصيحة هونيادى وحنث فى عهده للاتراك واعفاه مندوب البابا من اتفاقه مع مراد الذى كان قد أخلد إلى حياة الراحة والهدوء فاضطر السلطان.

العثمانى إلى معاودة الحرب من جديد وقاتل بعنف قوة المجرين فى موقعة ورنه وقتل جنوده الملك المجرى وحملوا رأسه على رمح ، ولم ينج هونيادى نفسه من الموقعة إلا بكل صعوبة وفى نفر قليل .

قتل ملك المجر إذن فى ميدان القتال وقرر مجلس الدولة المجرى قيام حكومة مؤقتة على رأسها هونيادى ، وحاول هونيادى الانتقام لشرف المجر المنهار فى ورنه ، ولكن فى مكان موقعة قوصوه حيث قضى السلطان مراد الاول على قوة الصرب ، قابل مراد الثانى قوة المجريين وقضى عليها فى سنة ١٤٨٨ ، فلم تجرؤ المجر على اتخاذ خطة الهجوم ضد العثمانيين أو تفكر جديا فى الانتقام مرة ثانيه ، وظلت الحال على ذلك إلى أن جاء السلطان محمد الثانى .

لم تؤثر موقعة قوصوة التى هزم فيها هونيادى فى مركزه أو تعلق الشعب المجرى به أو التفافه حوله ، بل جعلت ذلك الشعب ينظر إليه كالشخصية الوحيدة التى تستطيع انقاذ المجريين من الاتراك إذا حاولوا الاعتداء عليها ، وشغل هونيادى بمشاغل عديدة داخلية وأخرى خارجية ، أهمها صلات المجر مع النمسا وبوهيا ، وهزم هونيادى أمام أعدائه النشاء ولذا قبل الزعيم المجرى رامنيا الفدية التى عرضها عليه السلطان محمد الثانى .

ولما سقطت القسطنطينية فى يد الاتراك اجتمع الديت المجرى فى بودا وقرر إعداد النفقات اللازمة فى حالة هجوم الأتراك العثمانيين على البلاد . واستنجد برانكو فتش الصربى بالمجر وقامت حركة صليبية تدعو المجر إلى مقاومة العثمانيين ، ولكنه لم يكن للمجر حلفاء تستطيع الاعتماد عليهم ، وكان مركز هونيادى نفسه آخذا فى التزعزع فله فى البلاط منافسون حاقدون عليه ، ولم تكن الملكية براضية عنه ، فلم تكن الدولة المجرية إذن فى مركز يسمح لها بالهجوم على الأتراك .

ولكن الأتراك لم ينتظروا هجوم المجريين بل قاموا هم بالهجوم ، لقد زحف السلطان محمد الثانى الفاتح على بلغراد ، مدينة الجهاد فى نظر الأتراك فى سنة ١٤٥٦ بقوة كبيرة ومدفعية ضخمة ، وكانت بلغراد فى ذلك الوقت تعتبر مفتاح بلاد المجر ، وبذل هونيادى كل ما يملك من قوة وحماس وصبر وحذر فى سبيل الدفاع عن هذه المدن ، ولقد أيدته أوربا تأييدا عظيما فسقوط المجر فى ذلك الوقت معناه سقوط وسط أوربا بأجمعه فى أيدى الأتراك ، ولهذا هرع لنجدته ستون ألف صليبى بقيادة الراهب كابستران ، وناداهم البابا فلبوا نداءه فلقد ملأ فتح القسطنطينية أوربا بالعار والغضب والخوف .

وكانت ظروف بلغراد غير ظروف القسطنطينية ، فوراء بلغراد العالم المسيحى متحفز للوقوف أمام الأتراك والدفاع عن مسيحية وتقاليده وما يملك . ومن ناحية ثانية حارب العثمانيون أمام بلغراد فى منطقة لم يملكوها هم كلها معادية لهم ، ومن ناحية ثالثة طالت خطوط المواصلات والتموين ، بينما كان المجريون يحاربون فى بلادهم ، ويظهر أن الأتراك فى هذه المرة أصابهم بعض الغرور بانتصارهم الحاسم على البوسفور وحملوا معهم مدفعية ثقيلة عاقت سرعة حركاتهم ، وانهزم أسطولهم الهندى انهزاما حاسما أمام اسطول المجريين .

كانت الموقعة فى أول الأمر فى مصلحة العثمانيين ، فلقد تمكنت المدفعية العثمانية المتفوقة من تحطيم أسوار المدينة ، وتمكنت بعض فرق الأنكشارية من دخول بلغراد ، وظن العثمانيون أن الموقعة قد انتهت بينما كانت المدينة ملأى بالجنود توجههم قيادة ممتازة ، ولذا اضطر الأتراك إلى الانسحاب من الجزء الذى احتلوه وحاول السلطان إقناع جنوده بالثبات ، وحارب فى صفوفهم بنفسه ، وقتل بيده أحد زعماء الصليبيين ، ولكنه اضطر فى آخر الأمر إلى الانسحاب بعد أن تمكن من تنظيم التقهقر . وبعد قتل من الانكشارية العدد الكبير .

ولكن السلطان كان سعيد الطالع فلقد تمكن من التقهقر ومن إعادة تنظيم قواته ، ومن مدافعة أعدائه بعنف بحيث لم يستطيعوا تتبعه ، ومن ناحية أخرى مات هونيادى بعد عشرين يوما من الموقعة كما مات زعيم الصليبيين جون كابستران الذى جاء لنجدة المجر .

وبموت هو ينادى أنتهى أقوى عدد الأتراك والمسلمين ، فبموته كما يقول البابا سافيوس « ماتت آمالنا » ، ولقوا بنه معاصروه ، ووصفوا شجاعته وقدرته وقيمته للمسيحية فى ذلك الوقت الخطر ، فلقد قام هذا الرجل بحماية المجر بل وحماية المانيا من الفتح العثمانى كما أقر مشاريع محمد الفاتح بالنسبة لأيطاليا .

لم تكن موقعة بلغراد بعظيمة الخطر على مركز العثمانيين فى أوربا وإن كانت قد أنقذت مدينه بلغراد والمجر من أن تقع فى أيديهم مدة من الزمن ، ولكنها لم تمنع العثمانيين من نشر نفوذهم فى بقيه أجزاء البلقان فى البوستة والهرسك والصرب وألبانيا ، فما كانت المجر التى ذاقت قوة العثمانيين مراراً تجرؤا أبدا على اتخاذ خطة الهجوم ضد السلطان الفاتح فنشاطها استنفذ من ناحية ، ومن ناحية ثانية هلك أكبر رجالها الحربيين الذى تستطيع أن تثق فيه وأن تضع مقاليد أمورها بين يديه .

وبعد ذلك فملكها كان لايزال حديث السن لا يحسن التصرف فى أمور الملك ، ولم يوجد بين الاستقراطية المجرية من يقوم مقام هو ينادى ، بل لقد قابل الملك أعمال الزعيم الراحل بالجحود والنكران فلقد أمر بقتل أبنه وتشويه سمعته وتصوير خيانته وصب عليه اللعنات

ولكن الملك المجرى لم يعش طويلا فمات فى سنة ١٤٥٨ ، وشاءت الأيام أن تعترف المجر بجميل فارسها ، فقرر الديب المجرى يقين أبنه وهو ما تياس كورفينوس ملكا على المجر .

ولئن كان ما تياش ورث عن أبيه فروسيته وقدرته على قيادة الرجال إلا أنه لم يرث عداوته الأتراك . وكان مهتما بالأمور الداخلية . مهتما بالقضاء على ثورات من حاولوا منافسته ، ولكنه لم يستطع أن يعمل شيئاً أمام قوة الأتراك ، فلقد قام السلطان محمد الفاتح بالهجوم من ثانية فافتتح البوسته وثبت أقدامه فيها رغم أنف المجر ، وحاول ماتياس أن يضم البابا والبندقية إلى جانبه فلم يفلح ، ولما اقترح ملك فرنسا تكوين عصبة دول مسيحية ضد الأتراك رفض كورفينوس الانضمام ، لأنه كان موقنا أن الحرب ستكون على حساب المجر وحدها .

ومن الغريب ان ماتياس لم يهتم بالخطر التركى بقدر ما اهتم بالقضاء على حركة هوس فى بوهيميا ، فهو كاثوليكى متعصب قبل كل

شيء وشغلته نزاعاته مع الامبراطور الذى حاول التدخل فى شئون المجر الداخلية كما شغلته اختلافاته مع بوهيميا .

ولقد هاجم الأتراك فعلا جنوب المجر ، وعاونوا الثائرين على ما تياس ولكنهم أجلوا هجومهم النهائى عليها إلى عهد السلطان سليمان القانونى الذى سيقضى على قوة المجر ودولتها نهائيا فى موقعة موهاكز فى آخر الربع الأول للقرن السادس عشر .

فتح البوسنة : —

اما مملكة البوسنة فلم يقدر لها البقاء كأمة مستقلة بعد اختفاء العرب إلا اربع سنوات . فلقد دبت فيها المنازعات على العرش ، وثارت الحرب الاهلية ؛ وعم الخوف على مصير البلاد أمام قوة الاتراك المرابطة على الحدود والتى تتدخل فى امور البلاد من حين لآخر وتجبرها على دفع الجزية ؛ واضطرت البابوية فى ذلك الوقت ، وكانت ملاذا للمسيحية وملجأها الأخير ، اضطرت إلى التدخل فى سبيل تثبيت العرش ؛ بعد ان زار ملك البوسنة ، وانهم يعاملون سكان البلاد بالحسنى لينالوا ودهم ورضاهم وانهم يعدون الفلاحين (وكانوا رقيقاً للأرض) بالحرية ، وان مطلب السلطان الفاتح ليس هو البوسنه وإنما هو المجر والبندقية ثم الزحف على إيطاليا واكتساح رومه عاصمة المسيحية الباقية . كانت هذه الزيارة فى سنة ١٤٦١ .

حاولت البابوية تثبيت مركز ذلك الملك ، كما حاولت معاونته لدرأ الخطر العثمانى الذى يهدد استقلال بلاده ، وعلم السلطان الفاتح بما بينه ذلك الملك من نقض عهوده مع الدولة العثمانية وعزمه على منع إرسال الجزية .

ولذا فأرسل إليه يطالبه بدفع الجزية ، وشعر ملك البوسنة بقوة فى نفسه فالبابوبية تؤيده . ولم يكن يدرى أن البابوية لن تستطيع له نفعاً إذا ما دهمته جحافل الأتراك ، أخذ ملك البوسنة الرسول العثمانى فأراه كنوزه وبين له باحتقار أنه لا يستطيع التنازل عنها للأتراك .

فقرر فاتح القسطنطينية معاقبة البوسنة على عدم وفائها بتعهداتها ، وفى سنة ١٤٦٣ جهز جيشاً عظيما . لذلك الغرض ، وعلم ملك البوسنة بما وقع ، فناله الفزع وأرسل للسلطان فى آخر لحظة ينفذ أوامره ، ويطلب منه هدنة لمدة خمسة عشر عاما ، فقبل السلطان ذلك العرض ، ولكنه صمم سراً على ضم البوسنة نهائياً إلى الدولة .

ولذا بعد ارتحال رسل البوسنة بأربعة أيام سار السلطان بجيوشه بسرعة هائلة وأخذ البوسنة على غرة فلم يقف أمامه دفاع ، وفتحت العاصمة أبوابها له ، وجز السلطان حاكمها على خيانته لوطنه بأن ألقى به من شاهق صخرة لا تزال تحمل إسم (راداك) إلى اليوم .

وأما مالك البوسنة فلم يجد بدا من التسليم وساعد السلطان على إتمام عثمانيا وأما ملكها فلقد عاقبه السلطان بالاعدام وضرب أعناق أبنائه ! وكان قد أمن على نفسه ، ولكن مفتى الدولة أفتى بضرب عنقه لأنه غدر بالسلطان فلا أمان له واستشهد بالحديث الشريف لا يلدغ المؤمن من حجر واحد مرتين .

وسقطت الهرسك بعد البوسنة ، فالقصة السائدة فى البلقان كانت قصتها قصة التنازع على الملك والاختلاف ، ولذا اضطرت إلى دفع الجزية للسلطان ، وثم منحتها نهائياً فى عهد ابن الفاتح السلطان بايزيد الثانى ولقد كان لفتح البوسنة أهمية خاصة ، فلقد اعتنق نقلاؤها وارستقراطيتها الدين الإسلامى وأصبحو بكوات يحكمون إقطاعاتهم على الطريقة السائدة فى الغرب فى العصور الوسطى.

فتح البانيا : —

بعد البوسنة جاء دور البانيا ، والألبانيون أقدم جنس فى البلقان وخضعو للدول التى سيطرت على البلقان خضوعاً تختلف درجته . وفى القرن الرابع عشر خضعوا للأمبراطور العربى ، ولكن بعد سقوط امبراطورية العرب انقسموا كعادتهم إلى قبائل متنافسة متنافرة لا تعترف لشخص واحد بسلطة ! ولا تحترم غير نظمها الخاصة وتقاليدها التى أملتها عليها طبيعة البلاد الجبلية .

وفى أوائل القرن الخامس عشر كان ينتظر البانيا مصيران إما الخضوع لجمهورية البندقية أو الخضوع للأتراك . ولقد كانت جمهورية البندقية تتوسع فى البحر الأدرياتى بينما كان الأتراك يتوسعون فى البلقان فوقعت البانيا بين خطرين عظيمين . ولقد استولت البندقية بالتدريج على الأجزاء الساحلية ، وتم لها ذلك فى منتصف القرن الخامس عشر تقريباً . وأصبح البحر الأدرياتى بذلك بحيرة إلى حد كبير بندقية .

ولم يكن من مصلحة البندقية ، وهى دولة بحرية ، أن تتوغل فى داخل البانيا ، فى داخل بلاد مقفرة جبلية ، سكانها أقوياء أشداء ولكنها استخدمت أموالها فى سبيل إثارة القبائل الداخلة على الأتراك ولكن هذه السياسة وإن نفعت وقتا ما فلم تنته إلى نجاح ، فبالرغم من شجاعة القبائل ومناعة بلادها ما كانت تستطيع الصمود أمام قوة الاتراك مدة طويلة .

وفى أوئل القرن الخامس عشر بدأ الاتراك فتوحهم فى البانيا ، وكان من بين ما أخذوا كضمانات جورج كابستردنا ، وكان لايزال حديث السن فأكرموا وفاته وعلموه الدين الاسلامى فاعتنقه ، وسموه اسكندر وأعطوه لقب بك فصارا سكندر بك .

خدم اسكندر بك فى الجيش العثمانى وبرز فيه ، حارب ضد الصرب والبنادقة ، وأظهر شجاعة ممتازة . وبينما كان يخدم فى الجيش الذى استخدم ضد المجر فى سنة ١٤٤٣ علم بقيادة ثورة فى البانيا ، وهرب من العثمانيين إلى أحد الحصون الالبانية ، وتنصر ثانية ، وأعلن حربا صليبية على الأتراك ، وساعدته على النجاح طبيعة الجبال التى كان محتميا بهـا .

أصبح اسكندر بك من أقوى خصوم الأتراك ، ومن أشدهم حقدا ، وهو يشبه فى هذه الناحية هونيادى المجرى كما يشبهه فى ذكائه العسكرى ومقدرته على قيادة الرجال ، وأصبح مثله زعيما قوميا . كان اسكندر بك الزعيم الوطنى الالبانى الوحيد . لقد التف حوله الزعماء الالبانيون كما التف الزعماء المجريون حول هونيادى . ولقد أيدته فى خصومة للأتراك دولة البندقية ودولة نابلى .

لقد حارب اسكندر بك العثمانيين مرارا وهزمهم ومنعهم من أن يسيطروا على البانيا سيطرة تامة ، ولـكنه لم يستطع اتخاذ خطة الهجوم أو محاربة العثمانيين فى السهول .

ولـكن السلطان محمد الفاتح ما كان يستطيع أن يقبل تفرق اسكندر بك فى البانيا ، فحاول أن يستفيد من الحزازات الموجودة بين الزعماء

الالبانيين ، وهزمهم هم وحلفاؤهم من نابلى . ولكن اسكندر بك بدأ في إثارة الالبانيين ، وعقد صلحا مع الاتراك ثم نقضه لأن البابا وعده بالمساعدة فحارب الاتراك إلى أن اضطر إلى أن يرحل إلى روما يطلب المساعدة والعون ، ولكنه مات فى أوائل سنة ١٤٦٨ وبذا استطاع الأتراك أن يخضعوا بقية البانيا بسهولة .

لقد كلف اسكندر بك الأتراك غاليا فى الفتح ، وإذا كان قد نجح فى شىء فلقد نجح فى تأخير فتح البانيا ، وأوقف مدة التيار التركى العنيف الذى ربما كان اكتسح إيطاليا .

بعد موت اسكندر بك سيطر السلطان محمد الثانى على البانيا تماما وطرد البندقية من ممتلكاتها الساحلية فبدأ انكماشها واضمحلالها .

فتوحات السلطان الفاتح فى آسيا

وأما فى آسيا فلقد كان نجاح السلطان محمد الثانى تاما . فاستطاع أن يقضى على بقايا الأغريق فى آسيا الصغرى ، فاستولى على سينوب وطربزون . وكان لطربزون امبراطور أغريقى ليست له إلا المدينة وضواحيها فحاول تقوية مركزه بالاتفاق مع أوزون حسن الذى كان يسيطر على بعض اجزاء من أرمينيا والعراق وفارس . ولكن لما علم أوزون حسن بمجىء السلطان بجيش كبير طلب السلام وترك الأمبراطورية